مقدمة

تواجه منظومة الدولة فى العالم العربي محنة حقيقية تهدد بانهيار عدد كبير من دوله، وتفكيك أوصالها، أو تحولها إلى دول فاشلة. وتبدوملامح هذه المحنة، في عدم قدرة الدولة على بسط سيادتها وسيطرتها على أراضيها وحدودها فى عدد كبير من دول المنطقة العربية. كما تبدو في تعدد وتصاعد دور فاعلين غير موالين داخل أراض الدولة، بحيث أصبحوا يشكلون تحدياً ونداً لها، نتيجة لولاء فئات واسعة من مواطنيها لكيانات سياسية أو طائفية أومذهبية أو عرقية، بدرجة أعلى وأعمق من انتمائهم للدولة. ويتجلى تعقد وعمق هذه الأزمة في وجود البيئة المواتية لانتشار التنظيمات الإرهابية في أكثر من منطقة عربية، لم تقتصر فقط على سوريا والعراق، بل امتدت إلى اليمن وليبيا، وتهدد دولاً وممالك أخرى. ويظل السؤال مطروحاً عن ماهية العوامل الجوهرية التى أسهمت في تهيئة السياق المواتي لإنتاج وانتشارهذه الظواهر.

هل نتجت هذه الظواهر عن عوامل خارجية أملتها مخططات ومؤامرات أجنبية؟

لاأحدينكروجود أوتأثير العوامل الخارجية، ولكن لايمكن تحميلها المسؤلية. إذ توجد بالطبع أسباب داخل هذه الدول، تكمن وراء هذه الظواهر. هذه الحقيقة تقودنا إلى سؤال آخر:

هل هي ظواهر عارضة يمكن معالجة أسبابها في ظل كيانات ونظم هذه الدول، أم هي نتيجة أوضاع كامنة في طريقة تكوين هذه الدول وطبيعة بنيتها؟

يجيء هذا الكتاب كمحاولة للإجابة عن هذا السؤال. وبديهي أنه توجد اختلافات وتباينات بين كل دولة عربية وأخرى، كما توجد سمات مشتركة بين مجموعات معينة من هذه الدول. وقد استخدمنا هنا معياراً محدداً لفرز وتصنيف الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، هوتاريخ إنشاء وتكون الدولة. وقبل بدء عملية الفرز، قمنا باستبعاد خمس دول أعضاء فى الجامعة من موضوع الكتاب، منها أربع دول، هي الصومال وجيبوتى وجزر القمر وموريتانيا،استبعناها لأن عضويتها بالجامعة قبلت لأسباب سياسية، وهي فى حقيقة الأمر لا تنتمي إلى المنطقة العربية، من الناحية التاريخية أو الجيوسياسية. الدولة الخامسة هى دولة فلسطين، لأنها لم تنشأ بعد. تتبقى لدينا سبععشرة دولة، المفترض أن تكون موضوع الكتاب، طبقاً للمعيار الذى وضعناه. سنتناول فى عجالة ثلاث دول منها: هي تونس والجزائر والمغرب، لأنها دول نشأت منذ مئات السنين، بشكل تراكمي، على الحدود السياسية الحالية، تضيق قليلاً أحياناً، وتتسع فى أحيان أخرى. وسنتبين ذلك من خلال استعراض نشأتها وطريقة تكوينها. وهناك دولة لاعلاقة لها بموضوع الكتاب، هى مصر. حيث أنها والصين أقدم دولتين تكونتا فى العالم، ببنيتيهما وحدودهما الحاليتين. ولذا وجدت أن تتبع

تاريخ نشأة وتكون دولة، على مدى خمسة آلاف سنة، يخرجنا عن موضوع الكتاب.

تتبقى لدينا ثلاث عشرة دولة عربية، تكونت ونشأت فيما بعد الحرب العالمية الأولى، هي مناط البحث والاهتمام في هذا الكتاب. وسنتتبع نشأة وتكون هذه الدول، فى محاولة لمعرفة الأسباب الكامنة وراء المحنة الحالية التي تمر بها المنطقة العربية، وتصور المصير المتوقع لدولها.

محفوظ أبو كيلة

الإسكندرية – ديسمبر ٢٠١٤

الأشياء السائلة تتغير،
ويصعب التنبؤ بمآلها